

فتوى الشيخ في النصب المزعوم للخضر
الذي كان موجوداً في جزيرة فيلكا
وعلى دعوى المبتدعة وعبد القبور في حياة الخضر

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن
يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فقد رغب مني بعض الأساتذة الفضلاء ، أن أكتب كلمة
موجزة حول الخضر عليه الصلاة والسلام ، والأثر المنسوب إليه في
جزيرة (فيلكا) في (الكويت) ، بمناسبة طبع الكتاب الذي ألفه في
ذلك الأخ الفاضل أحمد بن عبدالعزيز الحصين ، وفتاوى السادة العلماء
التي ألحقها به ، نفع الله بها المسلمين آمين .

وبناء عليه فقد رأيت أن أدير الكلام في ذلك حول مسألتين
اثنتين :

الأولى : التبرك بأثره المزعوم في الكويت وغيرها من البلاد
الإسلامية ، وقصد التقرب إلى الله تعالى بزيارته والتعبد بالصلاة
والدعاء لديه .

والأخرى : النظر في قول من رجع أن الخضر عليه الصلاة
والسلام ليس نبياً .

والله تعالى أسأل أن يلهمني التوفيق في القول والعمل فأقول :

١ - اعلم أيها القارئ الكريم أنه إذا كان الراجع بل الصحيح من أقوال العلماء أن الخضر عليه الصلاة والسلام قد مات في جملة من خلا من الرسل والأنبياء ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ فليس من الممكن عادة ، أو فمن البعيد جداً ، أن يظل مقام من مقاماته عليه السلام معروفاً حتى اليوم ، وقد مضى عليه ألف السنين ، ولذلك صرح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من المحققين أنه لا يعرف قبر نبي من الأنبياء على التعيين واليقين ، إلا قبر نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ، هذا مع حرص أتباعهم من اليهود والنصارى على اتخاذ قبورهم مساجد كما أشارت الآية الكريمة إلى شيء من ذلك : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً ﴾ ، وكما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة وأنهم لعنوا بسبب ذلك (*) ، فإذا كان الأمر كذلك في قبورهم التي كانت ظاهرة على الأرض بل مرفوعة البنيان ، ومع ذلك لم يبق لها أثر تعرف به ، فأولى ثم أولى أن يضيع مقام من مقاماته التي قام فيها الخضر وصلى ، والذي ليس عليه دليل مادي متوارث خلفاً عن سلف مثلاً . ولئن فرض أنه ظل مقامه معروفاً ، فذلك مما يمكن التسليم به إلى ما قبل الإسلام وظهوره ، وأما بعد ذلك ، وتمكين الله تبارك وتعالى له في الأرض ، وقضاؤه على كل آثار الشرك والوثنية ، مما هو في قدرته ، وتحت سلطانه ، فلو كان مقام الخضر المزعوم في الجزيرة (فيلكا)

(*) راجع كتابي « تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد » .

أو غيره موجوداً أو مقصوداً للتبرك به كما هو الواقع اليوم لقضى عليه المسلمون الأولون وقطعوا دابره ، منعاً لافتتان الناس به والتعبد لديه . ألا ترى أن شجرة الرضوان التي ببيع تحتها النبي عليه الصلاة والسلام ، من أصحابه الكرام ، قد عُُمِّيت على الصحابة أنفسهم ثم على الذين جاؤوا من بعدهم ، حتى صار مكانها نسياً منسياً ، كما جاء في صحيح البخاري ، وغيره مما هو مفصل في موضع آخر^(١) . وما ذلك إلا سداً للذريعة ، وقطعاً لدابر الفتنة ، ولا سيما بالنسبة للذين يأتون من بعدهم ، ممن لا معرفة لديهم بالكتاب والسنة ، وأصول الشريعة وقواعدها المحكمة ، وقد قيل إن عمر رضي الله عنه هو الذي قطعها ، وفي ذلك نظر ذكرته في غير هذا الزمان^(٢) .

وأيضاً فلو ادعى مدع مكابر ، أن مقام (فيلكا) أو غيره من المقامات المنسوبة للخضر في غيرها من البلاد الإسلامية كمسجد دمشق ، وحلب وغيرها أنه هو مقام الخضر عليه السلام حقيقة ، وأنه بقي معروفاً حتى اليوم ، فليس ذلك بالذي يبرر قصده للصلاة فيه ، والتعبد لله عنده ، بله طلبه لشيء من البدع والشركيات التي وصف المؤلف حفظه الله بعضها مما يقع لديه ، لأن ذلك القصد ليس من سنة المسلمين الأولين ، بل هو من سنن اليهود المغضوب عليهم ، والنصارى الضالين ، وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أن ذلك كان من أسباب هلاكهم ، فقد رأى في حجة له في خلافته الراشدة أناساً يتدرون مكاناً يقصدونه للصلاة والعبادة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا :

(١) و (٢) انظر كتابي « تحذير الساجد » (ص ١٣٧ - ١٣٩) .

مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فهم يقصدون الصلاة فيه ، فقال رضي الله عنه : هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً ، من عرضت له منكم فيها الصلاة فليصل ، ومن لم يعرض له منكم فيها الصلاة فلا يصل^(١) .

وهذا من فقه عمر رضي الله عنه وحكمته ، وقد يخفى ذلك على كثير من الخاصة فضلاً عن غيرهم ، وبيانه : أنه إذا كان من المعلوم عند الفقهاء أنه يجب التزام السنة في أفعال النبي ﷺ وعبادته الظاهرة ، وأنه لا يجوز بوجه من الوجوه قصد مخالفته في هذه السنة ، فأولى ثم أولى أن لا يجوز قصد مخالفته في نيته التي نواها فيها ، لأنه مخالف للأدلة الكثيرة الموجبة للاقتداء به ﷺ^(٢) .

فإذا كان من المعلوم مثلاً أنه كان يصلي صلاة الضحى بنية التطوع ، فلا يجوز لأحد أن يخالفه فيها فيصلّيها بنية الفرض ، والعكس بالعكس تماماً . فكذا ما نحن فيه : إذا صلى النبي ﷺ في مكان ما ، ولم يظهر لنا أنه كان قاصداً له متقرباً إلى الله بقصده إياه ، وإنما وقع له ذلك اتفاقاً ، فلا شك حينئذ أن الذي يقصد ذلك المكان بالصلاة فيه متقرباً إلى الله بقصده إياه - أنه يكون مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ من جهة أنه قصد ما لم يقصد ، ونوى ما لم ينو عليه الصلاة والسلام ، ومن كان كذلك ، فهو مبتدع مردودة عليه بدعته ، لقوله

(١) انظر المصدر السابق (١٣٦) .

(٢) انظر مقدمة رسالتي «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» .

« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(١) ، ولا ريب أن قصد مخالفة النبي ﷺ سواء كانت في أفعاله أو نواياه من أعظم أسباب الفتنة والهلاك ، كما هو صريح قوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

فاحفظ هذا البيان لفقه عمر المذكور يساعذك في كثير من المسائل التي هي من مواطن النزاع ، تكن مهتدياً بإذن الله تعالى ، فإنه على ذلك جرى السلف الصالح رضي الله عنهم ، ولذلك لم يكن لهذه المقامات المزورة عندهم ذكر ، بل ولا كانوا يقصدون المقامات التي صلى فيها الرسول نفسه ﷺ ، بله مقام غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، على ندرة المقامات الثابتة نسبتها إليهم .

فهذا جبل الطور مثلاً ، وهو الجبل الذي قام عليه نبي الله موسى لمناجاة ربه عليه ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ومع ذلك فلا يجوز قصده للصلاة فيه والدعاء عنده ، وغير ذلك من العبادات ، ولذلك لم يكن السلف يقصدونه ، وتوارث الخلف ذلك عن السلف فهو لا يقصد - فيما أعلم - حتى اليوم ، بل ثبت النهي عنه من بعض الصحابة رضي الله عنهم حينما توهم أحدهم جواز قصده ، فقد قال قرعة بن يحيى البصري :

« سألت ابن عمر رضي الله عنه : آتي الطور ؟ فقال : دع الطور ولا تأته [أما علمت أن النبي ﷺ] قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » ؟^(٢) .

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما ، وهو مخرج في كتابي « تخريج الحلال والحرام » رقم ٥ .

(٢) انظر « تحذير الساجد » (ص ٣٣٨ - ٣٣٩) ، و « أحكام الجنائز » (ص ٢٢٦) .

وهذا الحديث الذي استدل به ابن عمر رضي الله عنه ، هو حديث مرفوع ، قد صح عن جمع من الصحابة مرفوعاً^(١) ومنهم أبو بصرة الفباري ، وفي بعض الطرق الصحيحة عنه أنه أنكر أيضاً إتيان الطور^(٢) .

فإذا كان هذا شأن هذا المقام الحق ومقامات الرسول التي كان صلى فيها كما سبق ، وهي لا يفعل فيها إلا الصلاة ونحوها من العبادات ، فماذا يقال عن مقام جزيرة «فيلكا» وغيره من المقامات المزورة المضللة ، وهي بؤرة للفساد ، والشركيات والوثنيات ؟ لاشك أنها بالنهي عنها أولى ، وبإستئصال شأفتها أحرى . ولكن يجب أن يتولى ذلك في هذا الزمان ولاية الأمور والحكام الذين يحكمون بما أنزل الله من كانوا ، وأينما كانوا ، فهم المسؤولون عن استمرار هذه البدع والشركيات وبقائها بين ظهرائي المسلمين أكثر من العلماء ، فإذا لم يدعم هؤلاء من أولئك ذهبت أصواتهم وجهودهم أدراج الرياح كما هو المشاهد اليوم ، وقديماً قيل : « إن الله لينزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ، وأسوتهم في ذلك - إن فعلوا - رسول الله ﷺ الذي هدم مسجد الضرار وحرقه على أهله كما جاء في تفاسير القرآن الكريم ، عند قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين . . . ﴾ الآية ، فقد استدل بها العلماء على النهي عن الصلاة فيما بني من المساجد مباهاة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله عز وجل ،

(١) قد خرجت أحاديثهم في « أحكام الجنائز » (٢٢٤ - ٢٢٦) ، و « إرواء الغليل » (٩٥٢) ، « والروض النضير » (٧١٣) .

(٢) وهو مخرج في « تحذير الساجد » (ص ١٣٩ - ١٤٠) وغيره .

فهذه المقامات أولى بالهدم والحرق لأنها لا تقصد إلا لوجه الشيطان .
نسأل الله السلامة منه ومن أوليائه !

٢ - لقد أشار المؤلف الفاضل في أول كتابه إلى اختلاف العلماء في نبوة
الخضر عليه الصلاة والسلام ، فقال :
« والراجح من أقوالهم أنه ليس نبياً » .

ولما كان هذا القول مرجوحاً عند العلماء المحققين ، فقد رأيت أن
أذكر شيئاً من أقوالهم وأدلتهم ، تنبيهاً وتذكيراً ، فأقول :
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في أول رسالته « الزهر النضر » :

« باب ما ورد في كونه نبياً . قال الله تعالى في خبره عن موسى
حكاية عنه : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ ، وهذه ظاهرة أنه فعله بأمر من
الله ، والأصل عدم الوساطة ، ويحتمل أن يكون بوساطة نبي آخر لم
يذكره ، وهو بعيد ، ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام ، لأن ذلك لا يكون
من غير نبي وحيأ حتى يعمل به ما عمل ؛ من قتل النفس ، وتعريض
الأنفس للغرق . فإن قلنا : إنه نبي ، فلا إنكار في ذلك .

وأيضاً ، كيف يكون غير النبي أعلم من النبي ، وقد أخبر النبي
ﷺ في الحديث الصحيح (*) : « أن الله تعالى قال لموسى : بلى عبدنا
خضر ، ؟ ! » .

(*) أخرجه الشيخان ، وهو في كتابي « مختصر صحيح البخاري » برقم (٥٧) ، وفي لفظ لها
« هو أعلم منك » ، وهو في « المختصر » برقم (١١٢) يسر الله إتمام طبعه ، بمنه وكرمه .
وقد تم طبع المجلد الأول منه يسر الله تعالى طبع الأجزاء التالية .

وأيضاً فكيف يكون النبي تابِعاً لغير نبي ؟! وقال الثعلبي : هو نبي في جميع الأقوال .

وكان بعض أكابر العلماء يقول : أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً ، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي ! كما قال قائلهم^(١) :

مقام النبوة في برزخ
فويق الرسول ودون النبي

قلت : وهناك آية أخرى تدل على نبوته عليه الصلاة والسلام ، وهي قوله تعالى فيه : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ ، فقد ذكر العلامة الألوسي في تفسيرها ثلاثة أقوال ، أشار إلى تضعيفها كلها ، ثم قال :

« والجمهور على أنها الوحي والنبوة ، وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن ، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، ... والمنصور ما عليه الجمهور ، وشواهد من الآيات والأخبار كثيرة ، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين »^(٢) .

قلت : ولقد صدق رحمه الله تعالى ، فإن التأمل في قصته مع موسى عليهما الصلاة والسلام يجد أن الخضر كان مُظهراً على الغيب وليس ذلك لأحد من الأولياء ، بدليل قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ ، وذلك ظاهر في مواطن عدة من القصة ، أذكر ما تيسر منها :

(١) قلت : هو ابن عربي صاحب « الفصوص » و « الفتوحات المكية » .

(٢) روح المعاني (٩٢/٥ - ٩٣) .

١ - قوله لموسى عندما طلب منه الصحبة : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ فهذا الجزم منه عليه السلام للدليل واضح على أنه كان على علم بذلك ، ولم يكن من باب الظن والتخمين منه ، حاشاه ، ويؤيده زيادة جاءت في بعض طرق الحديث عقب هذه الآية بلفظ :

« وكان رجلاً يعلم علم الغيب ، قد علم ذلك » (١) .

٢ - ومثله قوله في تأويله قتل الغلام :

« وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً ، وكان أبواه قد عطفوا عليه ، فلو أنه أدرك ، أرهقهما طغياناً وكفراً . فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً » . زاد في رواية : « ووقع أبوه على أمه فعلقت فولدت منه خيراً منه زكاة وأقرب رحماً » (٢) .

وإخباره عليه السلام أن الغلام طبع كافراً ، وأن أباه وقع على أمه فحملت وولدت خيراً منه ، هو من الأمور الغيبية المحضة التي لا مجال للاطلاع عليها إلا من طريق النبوة والوحي ، فذلك من أقوى الأدلة على أنه كان نبياً ، إن لم يكن رسولا .

٣ - ومن ذلك قول النبي ﷺ : « لما لقي موسى الخضر عليهما السلام ، جاء طير ، فألقى منقاره في الماء فقال الخضر لموسى : تدري ما يقول هذا الطير ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : ما علمك وعلم موسى في علم الله إلا كما أخذ منقاري من الماء » (٣) .

(١) الدر المنثور (٤/٢٣١) .

(٣) أخرجه مسلم ، والزيادة لعبد الله بن أحمد (٥/١١٨ - ١١٩) .

(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والسيوطي وهو مخرج في « الصحيحة » (٢٤٦٧) .

فهذا صريح في أن الخضر ، قد علم منطق الطير ، وهو من الغيب الذي لا يعلمه البشر ، فهو في هذا على نحو النبي سليمان عليه الصلاة والسلام الذي حكى الله عنه في القرآن : ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير ﴾ .

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الأدلة المتقدمة إذا تأملها المسلم ووعاها بقلبه ، تيقن أن الصواب القول بنبوة الخضر كما ذهب إليه جمهور العلماء ، ولذلك فعل ما فعل من العجائب التي لم يصبر لها موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو كلم الله تعالى ، وبه نستطيع أن نحل تلك العقدة من الزندقة التي أشار إليها الحافظ ابن حجر فيما سبق ، ونحوها مما يعتقده كثير من الصوفية من الاعتقاد بالظاهر والباطن ، والحقيقة والشريعة التي أفسد عقيدة كثير من الخاصة فضلاً عن العامة ، فاعتقدوا الصلاح بل الولاية في كثير من الفساق الذين لا يصلون ولا يشهدون جماعات المسلمين ولا أعيادهم بدعوى الظاهر ، وأنهم في الباطن من كبار أولياء الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وما قصة شيخ الإسلام ابن تيمية مع البطائحية الذين كانوا يتظاهرون في دمشق بالولاية والكرامة في زمانه حتى نصره الله عليهم ، وقضى على باطنهم وباطلهم عن القارىء ببعيد .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

دمشق ٩ ربيع الأول سنة ١٣٩٤

محمد ناصر الدين الألباني